خطبة بعنوان

[(دروس وعبر من غزوة الفتح)][1]

لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }[سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }[سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ،وأن خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

---

[1]-المصادر بعد القرآن والسنة،الصحيح المصفى من سيرة النبي المصطفى للشيخ سليم الهلالي حفظه الله،وبعض كتب السير،كالرحيق المختوم،وسيرة ابن هشام.

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل:**{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) }**[سورة النصر : 1 إلى 3]

هذه السورة الكريمة فيها بشارة من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بفتح مكة وإعلام للنبي صلى الله عليه وسلم بقرب أجله،وهي آخر سورة نزلت من القرآن الكريم،كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي هذا اليوم نأخذ ما يسر الله من الدروس والعبر والفوائد والمواعظ من هذه الغزوة التي كانت الفيصل بين الإسلام والكفر، وكانت الفيصل بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومه من مشركي قريش،فإن الله عز وجل أعز فيها الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين،وكسر شوكة كفار قريش إلى الأبد،وإن كان قد حصل لهم نكسة في غزوة بدر لكنهم قاموا بعدها في بعض الغزوات،أما في هذه الغزوة فإنها لم تقم لهم قائمة بعدها ،بل دخل الناس في دين الله أفواجا كما أخبر الله في سورة النصر.

وقد كانت هذه الغزوة في شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة النبوية.

وكان سببها أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج مع مجموعة من أصحابه معتمرين وزائرين لبيت الله الحرام فصدتهم قريش ومنعتهم من زيارة البيت لذلك العام، فجرى صلح بين الفريقين على أن يرجعوا هذا العام وألا يطوفوا بالبيت، وإنما يعتمروا في العام القابل،فأخذ بعض الصحابة في أنفسهم بسبب الظلم التي تضمنته تلك الشروط التي أبرمت في صلح الحديبية،منهم عمر رضي الله عنه،فكان ظاهر هذه الشروط الظلم والجور على المسلمين،إذ كان منها: **"أَنَّهُ لَا يَأْتِي المسلمين مِن المشركين رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِهم، إِلَّا رَدَّه النبي صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِم،ومن أتى الكفار من المسلمين لا يردوه إليهم"** فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ : **" بَلَى "**. قَالَ : أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : **" بَلَى "**. قَالَ : فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ فَقَالَ : **" يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا "**ثم جاء أبا بكر فأخبره بما أخبر به رسول الله. فَقَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ : فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ ؟ قَالَ : " **نَعَمْ** ". فَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَرَجَعَ.والحديث في الصحيحين.

فكانهذا الصلح تمهيدا لفتح مكة؛لأن الله تعالى يعلم مالا يعلمون، وقد أسلم كثير من الناس في تلك الحقبة من الزمن،وكان من شاء أن يدخل في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل،فدخلت خزاعة في حلف رسول الله ،ولذلك أنزل الله عقب ذلك الصلح قوله تعالى:**{ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا }**[سورة الفتح : 1]

قال ابن كثير رحمه الله:"نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة ، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه ، وحالوا بينه وبين ذلك ، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل ، فأجابهم إلى ذلك على تكره([2]) من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ... فلما نحر هديه حيث أحصر ، ورجع ، أنزل الله عز وجل ، هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم ، وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل الأمر إليه ، كما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية"ا.ه

وكان من فوائد تلك الهدنة أن دخل الناس في دين الله أفواجا،فقد جاء في بنود الصلح أن من شاء أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل،ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل،فدخلت خزاعة في عقد محمد عليه الصلاة والسلام وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم،فلبثوا في تلك الهدنة سبعة عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا، فاعتدت بنو بكر على خزاعة فوثبوا عليهم ليلا،ونقضت قريش الصلح فأمدَّت بني بكر بالسلاح والكراع وقاتلت معهم،فركب عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره الخبر،فلما وصل المدينة قال هذه الأبيات:

يا رب إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

---

[2]- أي أن بعض الصحابة كره ذلك وهو الرجوع إلى المدينة بغير عمرة، وقبول تلك الشروط الجائرة.

قد كنتم ولدا وكنا والدا ... ثمَّةَ أسلمنا ولم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا أيدا...وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا...أبيض مثل البدر يسمو صعدا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا....إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا ....وجعلوا لي في كداء رصدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا...وهم أذل، وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجدا .... وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"نصرت يا عمرو بن سالم"** ثم عرضت له سحابة من السماء فقال: **"إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب"**.

ثم ندمت قريش على ما صنعت فأرسلت أبا سفيان يجدد العقد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان،رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم،فرضي الله عن أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان،آثرت فراش رسوله الله على أبيها،إنه الولاء لله ولرسوله،والبراء من أعداء الله وأعداء رسوله ولو كان أقرب قريب،ليس كما يفعل بعض المسلمين اليوم من الولاء لأعداء الله وأعداء رسله والعياذ بالله.

ثم قال أبو سفيان : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر. ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكلمه، فلم يرد عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم؟ فو الله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به،رضي الله عن عمر فقد كان لا تأخذه في الله لومة لائم،ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

ثم خرج أبو سفيان فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، وعندها حسن بن علي، غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمَسَّ القوم بي رحما، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لي إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فسبحان الله كيف اجتمعت كلمة الخلفاء الأربعة على شيء واحد لم يختلفوا،ولم يحابوا ولم يداهنوا،وهذا هو سر الانتصار بإذن الله،بينما الخلاف والخيانات فهي من أعظم أسباب الانهزام.

ثم رجع أبو سفيان خائبا وخابت قريش ،وخاب كل غادر، وكل فاجر وكافر،فإن عواقب الغدر وخيمة،والعواقب الحميدة للمتقين.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أي بنية: أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ،فتجهز الناس وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. فاستجاب الله دعوته فعمى الله خبر المسلمين عن قريش، فلم يبلغ قريشا شيء من خبره وما يدرون ما هو صانع بهم،حتى إن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب إلى قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيغزوهم يريد بذلك أن يحموا قرابته عندهم، ولم يفعل ذلك ارتدادا عن دينه ولا سخطة له، فنزل الوحي بما فعله حاطب، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا ورجلين معه لأخذ الكتاب، فأدركوا المرأة التي حملت الكتاب إلى قريش فأخذوه منها فقال عليه الصلاة والسلام :**"ماهذا ياحاطب"**فاعتذر عذرا قبله منه،وأنزل الله في شأنه معاتبا له ومخاطبا له باسم الإيمان: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ**

الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }[سورة الممتحنة : 1]

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان في السنة الثامنة من الهجرة بعشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب،فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه مِن جنود الإسلام وخرج أبو سفيان ومعه نفر يتحسسون خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا جيشا لا قِبل لهم به،فأسلم العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأسلم أبو سفيان بن حرب وعبدالله بن أمية.

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران، قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فجاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به، قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا. فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم.

وروى أبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ،رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا. قَالَ : **" نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ "**.قَالَ : فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ.

وفي رواية عند مسلم أن أَبا سُفْيَانَ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ[3] قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ"**

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل أي ازدحامها، حتى تمر به جنود الله فيراها. قال: فيراها، ففعل، فمرت القبائل على راياتها، كلما مرت به قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فيقول- مثلا-: سليم، فيقول: مالي ولسليم؟ ثم تمر به القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فيقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة؟ حتى نفدت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا سأل العباس عنها، فإذا أخبره قال مالي ولبني فلان؟ حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة. ثم قال: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما. قال العباس: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذن.

ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال له العباس: النجاء إلى قومك. فأسرع أبو سفيان حتى دخل مكة، وصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه،فصارت تسبه وتقبحه وتهدد بقتله، قال أبو سفيان: ويلكم، لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله، وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وبثوا أوباشا لهم، وقالوا: نقدم هؤلاء[يعني لمواجهة جيش الإسلام] فإن كان لقريش شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا. فتجمع سفهاء قريش وأخفاؤها مع عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو بالخندمة ليقاتلوا المسلمين، وكان فيهم رجل من بني بكر- حماس بن قيس- كان يعد قبل ذلك سلاحا، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه قالت: والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء.

---

[3]-أي: معظمها وجماعتها.

فكان خالد بن الوليد وأصحابه رضي الله عنهم لا يلقاهم أحد من المشركين إلا أناموه، وقُتل من أصحابه من المسلمين كرز بن جابر الفهري وخنيس بن خالد بن ربيعة، كانا قد شذا عن الجيش، فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا، وأما سفهاء قريش فلقيهم خالد وأصحابه بالخندمة فناوشوهم شيئا من قتال، فأصابوا من المشركين اثني عشر رجلا فانهزم المشركون، وانهزم حماس بن قيس- الذي كان يَعدُ السلاح لقتال المسلمين- حتى دخل بيته، فقال لامرأته: أغلقي علي الباب.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى حتى انتهى إلى ذي طوى- وكان يضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن شعر لحيته ليكاد يمس واسطة الرحل- وهناك وزع جيشه وكان خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى- وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب- فأمره أن يدخل مكة من أسفلها، وقال: إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصدا، حتى توافوني على الصفا. وكان الزبير بن العوام على المجنبة اليسرى، وكان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمره أن يدخل مكة من أعلاها- من كداء- وأن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه. وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسر وهم الذين لا سلاح معهم- فأمره أن يأخذ بطن الوادي، حتى ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم،وصدق الله الكريم إذ يقول: **{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) }**[سورة النصر : 1 إلى 3]

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده،الحمد لله منزل الكتاب ومجري السحاب وسريع الحساب وهازم الأحزاب.

أيها الإخوة المسلمون:

إن لنا في هذه الأحداث وهذه السير وهذه الفتوحات لعبر لأولي الألباب،فينبغي أن نتفكر ونعتبر كيف أعز الله أولئك الرجال ونصرهم،إنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إنه الإخلاص والصدق،والتوحيد والإيمان،أولئك قوم صدقوا ربهم فصدقهم الله،وتمسكوا بدينهم فأعزهم،فينبغي أن نكون مثلهم، ليعزنا الله كما أعزهم.

فتشبهوا إلم تكونوا مثلهم :::: إن التشبه بالكرام فلاحُ

فليس بيننا وبينهم فروق،فإنهم بشر مثلنا،إلا أنهم أبلوا في دينهم بلاءً حسنا،وآثروا الأخرى على الدنيا،فيجب أن نتأسى بهم في العقائد والأعمال والأقوال، فإنهم صححوا عقيدتهم، وحققوا توحيدهم لربهم،وتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم،واجتمعت كلمتهم ووحدوا صفوفهم، وكانوا إخوة على قلب رجل واحد منهم،وزهدوا في الدنيا ولم ينشغلوا بها فأتتهم وهي راغمة،وأما في هذا الزمان فحدث ولا حرج من المخالفات والفساد،فهناك فساد في الأخلاق، وفساد في العقائد، وفساد في المعاملات، وتقصير في الواجبات وبُعد عن الطاعات وموالاة للكافرين،وانهماك في الدنيا، وهناك تفرقات وحزبيات إلا من رحم الله تعالى،فإذا أردنا أن يعزنا الله وأن ينصرنا على أعدائنا فعلينا بالسير على ما سار عليه أولئك، فنلزم غرزهم ونقتفي آثارهم ونسير على منارهم،ونفهم الدين على فهمهم،وإلا فلا نلوم إلا أنفسنا إن سلط الله علينا أعداءنا،فإن لنا عبرة بما حصل لسلفنا من النصر والتمكين والأمن والاستخلاف بسبب حسن سيرهم،وبإخلاصهم وتوحيدهم، وتوكلهم على ربهم،ولنا عبرة بما حصل لنا في هذا الزمان من تسلط أعدائنا علينا،كل ذلك راجع إلى ذنوبنا، وتخلفنا عن منهج نبينا الذي أرشدنا إليه،ومنهج سلفنا الذي دلنا عليه.

عباد الله:

دخل الجيش الإسلامي مكة وتحركت كل كتيبة من الجيش الإسلامي على الطريق التي كلفت الدخول منها،وأعز الله المسلمين وأذل الله المشركين،وأقبل خالد يجوس مكة حتى وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا كما وعده.

وأما الزبير فتقدم حتى نصب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون عند مسجد الفتح، وضرب له هناك قبة، فلم يبرح حتى جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام وطهره من الأصنام، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، فأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت طواف قدوم، ولم يسعَ، ولم يكن معتمرا، وفي يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول: **{وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا} {قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد }** والأصنام تتساقط على وجوهها،فلله الحمد والمنة**([4])**

فلما أكمل النبي صلى الله عليه وسلم طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت، فدخلها، فرأى فيها الصور، ورأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام- يستقسمان بالأزلام، فقال: قاتلهم الله، والله ما استقسما بها قط.

ورأى في الكعبة حمامة من عيدان، فكسرها بيده، وأمر بالصور فمحيت،في هذا دليل على تحريم تصوير ذوات الأرواح سواء كانت منحوتة أو مرسومة،وأنه يجب تغييرها،بتكسير المنحوت منها،وبمحو المرسوم،ويدخل في التحريم الصور الفتوغرافية الشمسية، فإن العلة واحدة وهي المشابهة لخلق الله تعالى.

بعد ذلك صلى نبينا صلى الله عليه وسلم- في الكعبة ثم خطب أمام قريش، ثم أغلق عليه الباب، وعلى أسامة وبلال، فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب، ثم صلى هناك، ثم دار في البيت، وكبر في نواحيه، ووحد الله، ثم فتح الباب، وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينتظرون ماذا يصنع؟ فأخذ بعضادتي

---

[4]- والحديث في الصحيحين

الباب، وهم تحته، فقال: **:"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثُرة([5]) أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ"**

وكان دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته وعلى رأسه المغفر، ورأسه يكاد يمس مقدمة الرحل من تواضعه لربه عز وجل، واغتسل النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ وصلى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين.

فيا عباد الله: إننا نحتاج إلى مثل هذا الجيش ،وإلى مثل هؤلاء الرجال، وإلى مثل هؤلاء الأبطال الموحدين لربهم، المتابعين لنبيهم، الصادقين في دينهم، نحتاج إلى مثلهم لتطهير بيت المقدس من درن اليهود وإخراجهم من بلاد الشام، كما طهر رسول الله عليه الصلاة والسلام الكعبة من رجس الأصنام،وكما أخرج اليهود من المدينة وخيبر،وسيأتي هذا الجيس في آخر الزمان كما وعد بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وكان من حلم النبي صلى الله عليه وسلم وعفوه أنه أمَّن الناسَ يوم الفتح إلا أناسا معدودين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجونه،وكانوا حربا على الإسلام والمسلمين،ومنهم من ارتد عن الإسلام وهو ابن خطل، كما عند النسائي عن سَعْدٍ ، رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ : **" اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ".** عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ، وَمِقْيَسُ ابْنُ صُبَابَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا، وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ، وَأَمَّا مِقْيَسُ ابْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ أَخْلِصُوا ؛ فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا. فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ،

---

[5]-أي مفخرة من مفاخر العرب

فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ، حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ. قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فقال : **" أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ ؟ "** فَقَالُوا : وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ ؟ قَالَ : **" إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ"**

وكانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح فبين حرمة مكة وأنها لم تحل لأحد قبله ولا تحل لأحد بعده، وقد أحلت له ساعة من نهار، وهي غير ساعته تلك حرام.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال إن رسول الله من الغد من يوم فتح مكة حمد الله وأثنى عليه ثم قال: **" إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ؛ فَقُولُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"**

وهو معنى قوله تعالى:**{ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ }**[سورة البلد : 2] أي أن الله أحل له القتال فيها ساعة من نهار ثم عادت على الحرمة كما كانت وإلى الأبد.

ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا إلى من حول مكة من أحياء العرب يدعوهم إلى الإسلام، وكان في تلك البعوث بعث خالد إلى العزى، وكان بيتا تعظمه قريش وكنانة وجميع مضر، فدمرها رضي الله عنه من إمام وشجاع، وكان عكرمة بن أبي جهل قد هرب إلى اليمن، فلحقته امرأته وهي مسلمة وهي أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فردته بأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه، وكذا صفوان بن أمية كان قد فر إلى اليمن، فتبعه صاحبه في الجاهلية عمير بن وهب بأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرده، وسيره صلى الله عليه وسلم أربعة أشهر، فلم تمض حتى

أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين والحمدلله رب العالمين.
اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين،اللهم عليك باليهود والنصارى والمنافقين،اللهم عليك بهم وبمن تعاون معهم ضد الإسلام والمسلمين،اللهم أصلح الراعي والرعية،وارحم الأمة المحمدية،اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار